المرحلة الثانية

التكرير في الصوت

اللغة العربية من اللغات الحية، فهي تنمو وتتطور كالكائن الحي، ولها سبلها ووسائلها في الإثراء والخلق والابداع. كما أنها تعرف بانسيابية الفاظها وجماليتها في التعبير، ولذلك توصف بأنها لغة موسيقية.

هناك صلة ما بين الألفاظ ودلالاتها في اللغة العربية، وتتجلى في طائفة من الألفاظ اللغوية التي وردت في القرآن الكريم الذي يعد المثل الأعلى للبيان العربي، كما أنه كتاب العربية الأكبر ،ومن ذلك ظاهرة تكرير الصوت في الفعل الرباعي المضعف مثل: زلزل ودمدم وزحزح وصرصر وكبكب وما إليها، إذ يتكرر الصوت الأول والثاني، فيصبح الصوت الأول والثالث، والثاني والرابع من جنس واحد. وقد يكون تكرير الصوت عن طريق مضاعفة الصوت الثاني كما في غلّق وقطّع وما شاكلهما.

وعمدت اللغة إلى زيادة الدلالة عن طريق أسلوب آخر، هو زيادة الأصوات في بنية الكلمة، فلكما كان المبنى في المفردات كثيرا زادت دلالاتها، لأن الزيادة في المبنى يتبعها زيادة في المعنى، مثل: اكتسب، واثاقلتم وغيرهما من الألفاظ.

أ) التكرير في الفعل الرباعي المضعف:

من المظاهر اللغوية التكرير في الأصوات اللغوية، فمن المعلوم ان اللغة العربية ترجع في أصولها إلى البناء الثلاثي في الغالب، وهناك طائفة من الألفاظ ثنائية التركيب، وحين نجد تركيبا رباعيا أو خماسيا فإنما الأصل فيه الثلاثي، وسنعرض مجموعة من الألفاظ التي وردت في الاستعمال القرآني لنتعرف على كيفية التناسب بين تكرير الصوت وتكرير الدلالة فيها وهـذه المجموعة: يتكرر فيها الصوت الأول مع الثالث، والثاني مع الرابع:

1. حصحص

الأصل في هذه المادة (حصص) ومعناه وضح وانكشف، قال الزجاج اشتقاقه في اللغة من الحصة، أي تبينت حصة الحق من حصة الباطل، عندما نقول حصحص الحق. وتأتي الحصحصة بمعنى المبالغة، يقال: حصحص الرجل إذا بالغ في أمره وهذه المبالغة هي نتيجة لزيادة صوت الحاء فأصبح بناء الكلمة رباعيا بعد أن كان ثلاثيا.

وقد وردت هذه المادة في القرآن الكريم مرة واحدة في قصة يوسف [ع]، على لسان امرأة العزيز، قال تعالى: (قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْأَنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) (يوسف: 51). فمعنى حصحص هو ظهور الحق وانكشافه وتمكنه في القلوب والنفوس، كما يقال حصحص البعير واستقر في الأرض.

2. دمدم

تأتي الدمدمة في اللغة لعدة معان، إذ يقال لصوت الهرة دمدمة، ويقال دمدم فلان في كلامه إذا أخرج صوتا غير مفهوم. ويقال ناقة مدمدمة إذا ألبسها الشحم، فإذا كررت الاطباق قلت دمدمت عليه0

وجاءت مادة دمدم في موضع واحد من القرآن الكريم، قال تعالى: (فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا) (الشمس: 14).

ومعنى دمدم أن العذاب قد أطبق عليهم وعمهم من جميع الجوانب، كما يقال للشيء السمين، كأنما دم بالشحم دما، إذ جعل الزجاج دمدم من هذا المعنى على التضعيف كما في كبكبوا وغيرها0

3. رفرف

يأتي الرفرف في اللغة معنى الحركة، إذ يقال: رفرف الطائر إذا حرك جناحيه، وهو لايبرح مكانه، ويأتي بمعنى البساط، فيقال فرشوا لنا رفرفا، وهو ضرب من البسط الخضر وقد يأتي الرفرف بمعنى المنتشر من الأوراق.

وردت كلمة رفرف في القرآن الكريم في موضع واحد منه في وصف حال المؤمنين وما يجدونه من نعيم فيها، قال تعالى: (مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ) (الرحمن: 76).

والرفــرف: اســم جــنس يــأتي بمعنــى الجمــع ومفــرده رفرفــة، والمعنــى أنهــم متكئــون علــى بســط تشــبه الريــاض. وإذا كانــت الرفرفــة مــأخوذة مــن الحركــة، فهــذا يعنــي أنهــم علــى تلــك البســط المرفوعــة التــي ورد ذكرهــا فــي موضــع آخــر مــن القــرآن الكــريم فــي قولــه تعــالى: (وَفُــرُشٍ مَرْفُوعَــةٍ) (الواقعــة: 34) فــالتكرير فــي الصــوت يتبعــه تكريــر فــي دلالة المادة، كما هي الحال في حركة البساط أو أجنحة الطائر.

4. زحزح

الزحزحة في اللغة هي التنحية والدفع عن الموضع. قال ذو الرمة:

يا قابض الروح عن جسم عصى زمنا وغافر الذنب زحزحني عن النــار

وبهــذا المعنــى جــاء فــي الحــديث الشــريف أنــه: (مــن صــام يومــا فــي ســبيل الله زحزحــه الله عــن النــار ســبعين خريفــا) وردت هــذه المــادة فــي موضــعين مــن القــرآن الكــريم؛ إذ جــاءت بصــيغة الفعــل الماضــي المبنــي للمجهــول فــي قولــه تعــالى: (فَمَــنْ زُحْــزِحَ عَــنِ النَّــارِ وَأُدْخِــلَ الْجَنَّــةَ فَقَــدْ فَــازَ وَمَــا الْحَيَــاةُ الــدُّنْيَا إِلَّا مَتَــاعُ الْغُــرُورِ) (آل عمــران: 185). ففــي الزحزحــة تكريــر للــزح الــذي يعنــي الجــذب بعجلــة، فمــن تخلــص مــن العــذاب ووصــل إلــى الثــواب فقــد فــاز بالمقصــد الأقصــى والغايــة التــي لا مطلــوب بعــدها وجــاء فــي الحــديث أن الرســول [ص] قــال: (مــن أحــب ان يزحــزح عــن النــار ويــدخل الجنــة فلتدركــه منيتــه وهــو يــؤمن بــالله واليــوم الآخــر وليــؤت إلــى النــاس مــا يحــب أن يــؤتى إليــه) وكــذلك وردت هــذه المــادة فــي القــرآن الكــريم بصــيغة الزحزحــة. قــال تعــالى: (وَمَــا هُــوَ بِمُزَحْزِحِــهِ مِــنَ الْعَــذَابِ أَنْ يُعَمَّــرَ وَاللَّهُ بَصِــيرٌ بِمَــا يَعْمَلُــونَ) (البقــرة: 96). قــال القاضــي: المــراد أنــه لا يــؤثر فــي إزالــة العــذاب أقــل تــأثير، ولــو قــال تعــالى: ومــا هــو بمبعــده وبمنجيــه لــم يــدل علــى قلــة التــأثير كدلالــة هــذا القــول ففــي الزحزحــة معنــى أبلــغ مــن الزح، فالقرآن الكريم يختار اللفظ المناسب في الموضع المناسب.

5. زلزل

تــأتي هــذه المــادة (زل) فــي اللغــة بمعنــى الحركــة المعتــادة، والزلــة فــي الأصــل: استرســال الرجــل مــن غيــر قصــد، يقــال: زلــت رِجــلٌ، تــزل والزلــة: المكــان الزلــق، وقيــل للــذنب مــن غيــر قصــد زلــة تشــبيها بزلــة الرجــل. والتزلــزل يــأتي بمعنــى الاضــطراب، إذ أن تكريــر حــروف

لفظه تنبيه على تكرير معنى الزلل فيه وقد وردت هذه المادة في القرآن الكريم بصيغة الفعل المبني للمجهول، كما وردت بصيغة المصدر في سورة الزلزلة، قال تعالى: (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا) (الزلزلة: 1) فالزلزال بالكسر المصدر، والزلزال بالفتح الاسم، والمعنى أن الأرض حركت حركة شديدة، وفي ذلك تصوير ليوم القيامة.

وتأتي الزلزلة بمعنى الحركة، أي انك كررت تلك الإزالة، فضوعف لفظه بمضاعفة معناه وكل ما كان فيه تكرير كررت فاء الفعل وعينه.

وجاءت هذه الكلمة بهذه الصيغة للتعبير عن هذه الحركة غير الاعتيادية، فهي أبلغ وأقوى في ذهن السامع، ومن أجل شدة هذه الحركة وصفها الله سبحانه وتعالى بأنها شيء عظيم في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) (الحج: 1).

6. صرصر

الأصل في هذه المادة يرجع إلى الصر والصرة وهي شدة البرد. وصرصر تكرر فيها صوت الصاد والراء، وبهذه الصيغة وردت في القرآن الكريم وصفا للريح، قال تعالى: (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ) (الحاقة: 6ويأتي الصرصر بمعنى الصوت أيضا، قال الخليل: كأنهم توهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا: صرصر ولما كانت الريح الشديدة يكون لها صوت؛ لذا وصفت بالصرصر تشبيها لها بصوت البازي. وقد يكون معنى الصرصر: الشديدة البرودة، مثل الألفاظ الأخرى التي كررت فيها فاء الكلمة وعينها، فكأن البرد قد كرر فيها وكثر فهي تحرق بشدة بردها. وجاءت هذه الكلمة لتعبر عن الحالة أبلغ تعبير؛ إذ لا يمكن أن يسد غيرها مسدها بهذه الدلالة الصوتية الخاصة، لما تحمله من وقع تصطك له الاسنان ويشتد فيه اللسان، بجرس أصواتها الذي يضفي صورة الرهبة والفزع0

7. عسعس

ذكــر أهــل اللغــة أن عســعس مــن الأضــداد. يقــال: عســعس الليــل إذا أقبــل بظلامه، وعسعس إذا أدبر، والمعنيان يرجعان إلى شيء واحد هو